القسم الثانى

من الأحاديث النبوية

- فى الإيمان والإسلام
- فى العلاقات الاجتماعية.
- فى مشاهد الإسراء والمعراج.
- فى الصوم وآدابه.
- فى الحج وشعائره.

أحاديث فى الإيمان والإسلام

بيعة الإسلام

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن عبادة بن الصامت ﷺ - وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**» فبايعناه على ذلك.

***

توضيح بعض المفردات:

١ - «شهد بدرا» أى حضر غزوة بدر الكبرى فى العام الثانى من الهجرة.

٢ - «أحد النقباء» أحد الأنصار الذين وفدوا إلى مكة قبل الهجرة نيابة عن أقوامهم ليعلنوا إسلامهم ونصرتهم للرسول ﷺ.

٣ - «ليلة العقبة» أى ليلة التقاء الرسول ﷺ بوفد الأنصار فى موسم الحج عند المكان الذى يرمى فيه الجمرات..

٤ - «العصابة» هى الجماعة من العشرة إلى الأربعين.

٥ - «بايعونى» من المبايعة التى هى المعاهدة وسميت بذلك تشبيها لها بالمبايعة المالية..

٦ - «ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم» البهتان هو الكذب، وخص الأيدى والأرجل لأن معظم الأفعال تقع بهما.

المعنى العام:

يقص علينا عبادة بن الصامت بيعة الإسلام التى بايعها الصحابة لرسول الله ﷺ، وهى بيعة شملت الإسلام فى عقيدته وسلوكه وقيمه، فهى ترتكز على العقيدة أولا، إذ العقيدة هى المدخل الصحيح لكل خلق كريم وعمل فاضل، وعقيدة الإسلام تقوم على التوحيد الخالص لله رب

العالمين، فله وحده العبادة، وبه وحده الاستعانة، وعليه وحده التوكل، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه..

وإذا استقرت العقيدة فى القلب استقامت الجوارح على الطاعة، فلا يسرق الإنسان، ويلحق بالسرقة كل مال حرام من غش ورشوة وربا واختلاس وظلم.. والمال الحرام لا يقبل منه صدقة ولا يرفع معه دعاء..

ولا يزنى الإنسان المؤمن، ويلحق بالزنا كل كلمة خاضعة وكل نظرة آثمة وكل موقف فيه ريبة.. فالنهى عن الزنا نهى عن مقدماته ولهذا قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

ولا يقتل المؤمن ولده ذكرا كان أو أنثى، وكان بعض الناس فى الجاهلية يقتلون ذكورهم خوف الفقر، وبناتهم خوف العار.. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[2]. وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[3].

ويلحق بقتل الأولاد كل قتل بغير حق..

ولا يكذب المؤمن فى قول أو فعل ولا يفترى الكذب على أحد.

ويظل المؤمن دائما وأبدا وفيا بالعهد، حريصا على الخير، ساعيا فى البر، مطيعا فى المعروف، ومتى التزم الإنسان بعهد الله وعهد رسوله مخلصا وفيا فقد وقع أجره على الله ونعم أجر العاملين، فثواب الله فضل فالحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة..

ومن نقض عهد الله فعلى مراتب:

من كفر بعد إيمان، ومن ارتكب دون الكفر فعوقب فى الدنيا، ومن ارتكب دون الكفر وستره الله، فهذه أنواع ثلاثة لكل منها حكم خاص..

فالكفر يخلد صاحبه فى النار.. قال تعالى:

---

(١) سورة الإسراء: آية (٣٢).

(٢) سورة الإسراء: آية (٣١).

(٣) سورة النحل: الآيتان (٥٨ ، ٥٩).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

ومن ارتكب كبيرة دون استحلال لها وعوقب فى الدنيا بالحد الشرعى فالله أكرم من أن يضاعف على عبده العقوبة فى الآخرة، فعقاب الدنيا كفارة له..

ومن ارتكب كبيرة وستره الله فلم يقع تحت طائلة العقاب الدنيوى فإذا تاب وندم وبكى على خطيئته واستقام فقد تاب الله عليه، ومن مات من غير توبة فأمره مفوض إلى ربه إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر معصيته ثم يعود إلى الجنة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[2].
وفى آية أخرى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[3].

يؤخذ من الحديث:

١ – مشروعية البيعة للإمام والعهد على الطاعة.

٢ – العقيدة هى أصل الدين وعليها يبنى الإسلام كله.

٣ – مشروعية الحدود وضرورة إقامتها تطهيرا للفرد والمجتمع.

٤ – مشروعية الستر على من لا يعرف بالمنكر ولا يجاهر بالمعصية.

٥ – حسن الظن بالله عز وجل..

٦ – فضل الله فى ثوابه وعدل الله فى عقابه.

***

(١) سورة فاطر: آية (٣٦).

(٢) سورة النساء: آية (٤٨).

(٣) سورة النساء: آية (١١٦).

حب الرسول من الإيمان

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس ﷺ - قال: قال النبى ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

***

إن رسول الله ﷺ أخرج الله تعالى به الناس من الظلمات إلى النور، وشرع الله تعالى على لسانه ما يصلح حياتنا فى الأولى والآخرة، وقدم لنا الرسول الأسوة الحسنة فى الإيمان والعمل الصالح ومكارم الأخلاق..

ولا يتحقق إيمان المؤمن حتى يشهد بالله تعالى ربا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبالقرآن حكما وإماما، ومن هنا فإن التوقير والتعظيم لسيدنا رسول الله أمر لا يتخلف عنه مؤمن، مصداق قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1].

وهذا التعظيم والتوقير لابد أن يصحبه حب قلبى وإيثار نفسى ورغبة عارمة فى الشوق إلى رؤيته والتفانى فى خدمته ﷺ لو أمكن ذلك واستطاع أن يحظى المرء بحياة رسول الله ﷺ..

ويعمق هذا الحب فى قلب المؤمن حتى يؤثر المؤمن رسول الله ﷺ على الوالد والولد والناس أجمعين، وجمع الحديث الشريف بين الوالد والولد لأنهما أصل الإنسان وفرعه، وحق الوالد أكثر فى الإجلال، وحق الولد أكثر فى الشفقة والحنو..

وعندما قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى، فقال عليه الصلاة والسلام، لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر: فإنك الآن والله أحب إلى من نفسى، فقال ﷺ: الآن يا عمر.. أى ثبت لك كمال الإيمان..

---

(١) سورة الفتح: الآيات (٨ - ١٠)

ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم أكثر حبا لله ورسوله، وبذلوا الأنفس والأموال والأولاد رخيصة فى سبيل الله، واستعذبوا الآلام فى حماية رسول الله، ولذا كانوا خير القرون..

والمسلم فى كل زمان ومكان مطالب بتحقيق هذا الحب فى واقع حياته قلبيا وعمليا بمعنى أن يستشعر فى نفسه الشوق والرغبة والهيام والفرح والغبطة برسول الله ﷺ، وبمعنى أن يستقيم على الشرع ويستمسك بالكتاب والسنة ويقتدى بالرسول ﷺ..

***

حب الأنصار

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**».

***

للإيمان علامات تؤكد وجوده، وتنمى آثاره، وتحمى أركانه، وقد جعل الرسول ﷺ حب الأنصار علامة للإيمان، وجعل بغضهم علامة للنفاق..

والأنصار جمع ناصر كأصحاب وصاحب، أو جمع نصير كأشراف وشريف، والمراد بهم الأوس والخزرج ساكنو يثرب التى سماها الرسول المدينة، وكانوا يسمون قبل الإسلام ببنى قَيْلة وهى الأم التى تجمع القبيلتين فسماهم الرسول الأنصار..

وبداية الأنصار مع الإسلام يوم التقوا برسول الله ﷺ فى بيعة العقبة الأولى فى موسم الحج بمكة واعتنقوا الإسلام وبعث معهم الرسول ﷺ مصعب بن عمير ﷺ يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين، فلم تبق دار من دور الأنصار، إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام بتوفيق الله لمصعب الذى كان يصلى بهم ويحسن الدعوة فيهم، فلما مضى عام وحان موسم الحج عاد مصعب إلى مكة ومعه وفد من الأنصار المسلمين وبايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية على النصرة والدفاع والتضحية، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاستقبلوا المهاجرين أحسن استقبال وأفسحوا لهم ديارهم وشاطروهم أموالهم عن حب وإيثار، ونزل فيهم قول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الحشر: آية (٩).

وقد أكرمهم الرسول ﷺ وقال لهم: «**المحيا محياكم والممات مماتكم**» أى أن الرسول الكريم آثرهم بنفسه ورضى أن يعيش بقية حياته الشريفة معهم ويدفن فى أرضهم بعد مماته، وخصهم بمسجد المدينة وجعله أحد المساجد التى يضاعف فيها أجر الصلاة ويسعى إليها من كل فج عميق فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**».

وبالمسجد النبوى الروضة الشريفة، وفى فضلها ورد الحديث الشريف: «**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة**».

إن الأنصار فى أنفسهم وفى مدينتهم يحتلون قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فضلاً وتكريمًا..

***

يسر الإسلام

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدُلجة**».

***

توضيح بعض المفردات:

١ – لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، المشادة: المغالبة أى أن الدين يغلب الإنسان الذى يواصل العبادة دون انقطاع..

٢ – فسددوا أى الزموا السداد الذى هو الصواب من غير إفراط ولا تفريط.

٣ – قاربوا أى اعملوا ما يقربكم إلى الكمال بقدر الإمكان..

٤ – الغَدْوة هى السير أول النهار.

٥ – الرَوْحة هى السير بعد الزوال.

٦ – الدُلْجة هى السير آخر الليل..

المعنى العام:

قامت شريعة الإسلام على اليسر فى كل شىء، ورفع الله تعالى عن أمة الإسلام الإصر والمشقة، فربط الحل بالطيبات والحرمة بالخبائث، ومن عجز عن الوضوء أو الغسل تيمم، ومن عجز عن الصلاة من قيام صلى على الهيئة التى تناسبه، ومن عجز عن الصيام أفطر، ولا حج إلا على المستطيع:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1].

هذا الدين المتين وهذه الحنيفية السمحة تحتاج إلى يسر الأداء من المكلف كما قامت على يسر التشريع من الله تعالى..

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٨٦).

ولا أحد يغالب نفسه ويخرج عن مألوف العادة السوية إلا فقد الكثير من الدين، وضيع الكثير من الحسنات، وأهدر الكثير من الطاقة..

والله تعالى يقول:

﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾[1].

والمطلوب من المسلم هو السداد بمعنى الالتزام بالحق من غير إفراط ولا تفريط، والمقاربة بمعنى محاولة الوصول إلى الكمال والطريق المستقيم وعلى الله قصد السبيل، ولله عاقبة الأمور، ويستعين المسلم على السداد والمقاربة بأوقات نشاطه وفراغه كما يفعل المسافر حيث يتحين أفضل الأوقات لسيره، فيسير أول النهار وأوسطه ويستريح وقت القيلولة وينام أول الليل ثم يواصل مسيرته آخر الليل.. فإن المسافر إذا واصل الليل بالنهار عجز وانقطع، وإذا تخير السير فى هذه الأوقات المنشطة أمكنه الوصول إلى غرضه فى أمان ويسر..

ويتحرى المسلم أثناء عمله المنظم وعبادته الميسورة أن يستبشر خيرا ويتفاءل ويحسن الظن بالله عز وجل.. فإن حسن الظن بالله من الإيمان، ولا يقنط مؤمن من رحمة الله..

ونقل الإمام ابن حجر عن بعض العلماء قال: فى هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع فى الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل فى العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدى إلى الملال، أو المبالغة فى التطوع المفضى إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلى الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه فى آخر الليل فنام عن صلاة الصبح فى الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة، وفى حديث محجن بن الأدرع عند أحمد: «**إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة وخير دينكم اليَسَرة**».

وقد يشير هذا إلى الأخذ بالرخصة الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة فى موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضى به استعماله إلى حضور الضرر» أهـ.

---

(١) سورة المزمل: آية (٢٠).

ونحن فى حاجة ماسة إلى تقديم الإسلام سهلا ميسرا محببا تنشرح به الصدور وتنور به القلوب وتستقيم به الجوارح ويسعد به الناس فى الدنيا والآخرة، وقد هلك المتنطعون الذين لا يفرقون بين عزيمة ورخصة ولا يفطنون إلى أمر الوجوب وأمر الإباحة وأمر الندب، فقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1]. أمر وجوب، وقوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾[2]. أمر إباحة، وقوله تعالى: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[3] أمر ندب.

وينبغى الحذر ممن يفهم التيسير على أنه انفلات من القيم وانحراف عن الأخلاق وارتكاب للموبقات، فلن يكون ذلك دينا أبدا وإنما هو الضلال بعينه، إننا أمة الوسطية، وإن الله تعالى قد امتن على رسوله باليسرى فقال ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[4]، ولذا ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه..

***

(١) سورة البقرة: آية (٤٣).

(٢) سورة البقرة: آية (٦٠).

(٣) سورة الأعراف: آية (٣١).

(٤) سورة الأعلى: آية (٨).

أفضل العمل

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل: «**أى العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور**».

***

تسائل الناس كثيرًا على عهد رسول الله ﷺ عن خير العمل أو أفضل العمل، واختلفت الإجابة باختلاف أحوال السائلين وحاجة المخاطبين..

والحديث الذى معنا يذكر ثلاثة أعمال هى الإيمان والجهاد والحج المبرور..

لقد سأل الرجل: أى العمل أفضل؟ فقال ﷺ: «**إيمان بالله ورسوله**» وهذا يدل على ربط الإيمان بالعمل، بل إن الإيمان عمل، فالاعتقاد واليقين هو من أعمال الإنسان التى يشملها مفهوم الإيمان الشرعى..

إن الإيمان قسمان: أعمال قلبية هى التصديق، وأعمال بدنية هى الشرائع والأحكام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾[1]. فالإيمان من الأعمال..

وإذا كان العلماء قسموا الإيمان إلى تصديق وعمل وإقرار، فهذا تقسيم اصطلاحى لا مشاحة فيه، وإذا كان الله تعالى قد عطف العمل على الإيمان فى مثل قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾[2]. فلا يعنى ذلك العطف التغاير والتباين الكامل بين الإيمان والعمل فقد يعطف الخاص على العام.. فالإيمان اعتقاد جازم بالتوحيد الخالص لله عز وجل والتزام كامل بالشرع المنزل على قلب خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ ..

وسأل الرجل عما يلى ذلك فى الفضل فقال: ثم ماذا؟ وكأنه أراد التفصيل ومعرفة معالى الأمور وعظائم الأعمال وكرائمها..

---

(١) سورة الزخرف: آية (٧٢).

(٢) سورة الكهف: آية (١٠٧).

فقال رسول الله ﷺ: «**الجهاد فى سبيل الله**» وذلك لأن الحق بغير القوة يتيم، يستدر بعض الدموع ولكن الدموع لا تغسل المظالم، وإن المؤمنين مطالبون بإعداد العدة وامتلاك القوة حتى يَرهبهم الأعداء ويخشى بأسهم الظالمون، وحتى يستطيع المؤمن الحفاظ على عقيدته وحماية حرماته وصيانة ماله ودمه، والجهاد ماض إلى يوم القيامة.

وسأل الرجل قائلاً: ثم ماذا؟ فقال ﷺ: حج مبرور..

ولعل التذكير بالحج هنا لمشاركته الجهاد فى الحاجة إلى قوة البدن وامتلاك المال ثم إن الحج لا يكون إلا مع أمن الطريق الذى يوفره الجهاد فى سبيل الله.

والحج المبرور هو المقبول الذى لا يخالطه إثم ولا رياء فيه، ويعود منه المسلم أحسن حالاً وأكرم خلقًا وأعظم أمانة وأشد استمساكًا بدينه وقيمه..

وقد التقى هذا الحديث الشريف مع قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (١).

***

(١) سورة الصف: الآيتان (١٠ - ١١).

الجهاد من الإيمان

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «**انتدب الله لمن خرج فى سبيله - لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى - أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل**».

توضيح بعض المفردات:

١ - «انتدب الله» أى تكفل.

٢ - «خرج فى سبيله» أى جاهد فى سبيل الله.

٣ - السرية: وهى الجماعة يبعثها رسول الله ﷺ ويؤمر عليهم واحدًا منهم ولا يشارك فيها النبى الكريم، وتختلف عن الغزوة التى يكون الرسول قائدًا لها.

المعنى العام:

الحق لابد له من قوة تحميه وترد كيد العدو، وإذا كان أهل الباطل يموتون فى سبيل باطلهم فأحرى بأهل الحق أن يجاهدوا فى سبيل الله..

والله تعالى لا تخفى عليه خافية ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، فالمجاهد الذى يخرج للقاء العدو بلا رياء ولا حمية وإنما يدفعه الإيمان الصادق ويسوقه اليقين بوعد الله عز وجل - هذا المجاهد له منزلة عظيمة وثواب جزيل وأجر مضاعف.. قال الله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة: آية (١١١).

إن الرسول ﷺ يخبرنا خبر الصدق واليقين أن الله تعالى تكفل للمجاهد بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة..

والنصر قد يصحبه الثواب العظيم من الله تعالى وقد يصحبه الثواب والغنيمة، والغنيمة هى ما يخلفه العدو من مال وعتاد..

وإذا لقى المجاهد ربه شهيدًا فالجنة مثواه خالدًا فيها أبدا فى منزلة عليا وفضل جزيل.. فالشهداء أكرم منا جميعًا، قدموا النفس والنفيس، والله تعالى أكرم الأكرمين..

ولعظم منزلة الشهيد كان الصحابة رضى الله عنهم يسارعون إلى الشهادة حتى لقد خرج أحدهم ليلة عرسه لما سمع نداء الجهاد فمات شهيدًا فغسلته الملائكة، وألقى أحدهم تمرات من يده وقال: إنى لحريص على الدنيا إن جلست حتى أفرغ منهن، فرمى ما فى يده وحمل بسيفه فقاتل حتى قتل، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ليحملهم فيقول لهم ما أجد ما أحملكم عليه فيرجعون وأعينهم تفيض من الدمع..

وإذا كان الجهاد فى الميدان هو أسمى أنواع الجهاد إلا أن العمل خلف الصفوف وداخل المجتمع لحمايته وزيادة الإنتاج وتوفير الطاقة أمر لابد منه، وضرورة لا غنى عنها.. وقد قال رسول الله ﷺ: **«من جهز غازيًا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيًا فى سبيل الله بخير فقد غزا»**.

ومن هنا كان حرص رسول الله ﷺ على توزيع العمل فكانت هناك الغزوة التى يقودها الرسول الكريم وكانت هناك السرية التى يقودها أحد الصحابة..

ولولا شفقة رسول الله ﷺ على أمته وتعليمهم أنماط القيادة ما تخلف رسول الله ﷺ عن معركة أبدًا ولما ترك القيادة مطلقًا ولكان يباشر القتال بنفسه دائمًا.. فهو ﷺ يعلم علم اليقين منزلة الشهداء عند الله عز وجل، ولذا كان يتمنى أن يقتل فى سبيل الله ثم يحيا مرة أخرى ليواصل جهاد الظالمين والآثمين والمعتدين ثم يقتل فى سبيل الله ثم يحيا مرة ثالثة ليواصل مسيرة الدفاع عن الحق والخير ثم يقتل وينال شرف الشهادة العظمى..

إن الجهاد ضريبة الإيمان وإن القوة قرينة الحق قال الله تعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (١).

وإن نصرة دين الله تكون بالوفاء لشرعه والاستمساك بهديه وبذل النفس والنفيس فى سبيل ذلك الدين القيم..

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥١).

ولنقرأ بوعي وتدبر قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[1].

يؤخذ من الحديث:

١ – الترغيب فى الجهاد حماية للدين والمقدسات.

٢ – فضل الجهاد ومنزلة الشهداء.

٣ – وعد الله للمجاهدين النصر أو الشهادة.

٤ – ضرورة إخلاص النية لله تعالى.

٥ – شفقة رسول الله ﷺ وحرصه على أمته وتعليمه لهم.

***

(١) سورة التوبة: الآيتان (١٢٠ – ١٢١).

الحياء من الإيمان

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان».

الحياء انقباض النفس عن القبيح، وهو خلق يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى، وقيل إن حقيقة الحياء خوف الذم، فيجعل الإنسان ينأى عما يشعر حياله بأنه يترتب عليه مذمة من الخلق أو الخالق..

وقد يتولد الحياء من كثرة النعم فيستحى العاقل أن يعصى ولى نعمته، ولا شك أن الله هو رب كل نعمة، وصاحب كل عطية، ومانح كل خير، وبيده خزائن الملك والملكوت، فالإنسان يستحى من الله بقدر نعمه عليه، تلك النعم التى لا تعد ولا تحصى..

ولذا قال بعض السلف: خَف الله على قدر قدرته عليك واستحى منه على قدر قربه منك.

لقد مرّ رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار فى موقف نصيحة لأخ له، ولكن النصيحة كانت غريبة، لقد كان الناصح يعظ أخاه فى الحياء أى يعاتبه على حيائه..

لعل الحياء منع صاحبه من استيفاء حقه فعاتبه أخوه على تفريطه فى حقوقه، وحثه على أن يتخلى عن هذا الجانب من الحياء حتى لا يطمع فيه أحد..

ولما سمع الرسول ﷺ هذه النصيحة قال للناصح: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**».

أى لا تعب عليه خلق الحياء، فالحياء خير كله، ولا يأتى الحياء إلا بخير، فهو من صميم الإيمان..

ومسألة ضياع الحقوق قصة أخرى، ولها فلسفة تحمد أحيانًا وتذم أخرى، ولها مواقف قد تكون مع غنى وقد تكون مع فقير، وقد تتعلق بظالم وقد تتعلق بضعيف، والمؤمن كيس فطن.. قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الشورى: الآيات (٣٩ – ٤٣).

تفاوت الناس فى الأعمال

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علىَّ وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدى، ومنها ما دون ذلك، وعرض علىّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين».**

***

رؤيا الأنبياء حق ووحى، وكان رسول الله ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وضوحًا وتحققًا، وها نحن أولاء أمام رؤيا نبوية كريمة، لقد رأى رسول الله ﷺ وهو نائم - الناس يمرون عليه وهم يرتدون ثيابًا على مقاييس متباينة، منها ما يبلغ الثدى ومنها ما دون ذلك..

فالقمص أو الثياب متفاوتة فى الطول، فما يصل إلى الثدى يكون قصيرًا جدا لا يغطى ما يجب أن يستر من جسم الإنسان، فالقميص يبدأ من الحلق إلى أسفل، ويكون قوله «ما دون ذلك» أكثر طولاً مما قبله..، ويحتمل أن المراد بقوله «ما دون ذلك» الأقصر مما قبله، ويؤيد المعنى الأول ما جاء فى بعض الروايات «فمنهم من كان قميصه إلى سرته، ومنهم من كان قميصه إلى ركبتيه، ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه».

ومرّ عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ فى رؤياه وهو يرتدى قميصًا سابغًا يجره.

ومن المعلوم أن الرؤيا قد تقع كما ترى وقد تحتاج إلى تعبير وتفسير، والرؤيا التى معنا من النوع الثانى الذى يؤول، ولهذا تساءل الصحابة وقالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين.

أى أن الرسول ﷺ فسر القميص بالدين بجامع الستر فى كل، فالقميص يستر العورة فى الدنيا، والدين يستر العورة فى الآخرة، والقميص به كمال الإنسان فى مظهره، والدين به كمال الإنسان فى حقيقته وباطنه، وعمر بن الخطاب ﷺ له من سابقته فى الإسلام وجهاده مع رسول الله ﷺ، ونصرته للمسلمين وخدمته لهم ما يجعله من أعلام الصحابة المبشرين بالجنة والفائزين بالرضوان الأكبر..

والناس متفاوتون فى صلتهم بالله تعالى وقيامهم بأمره جل شأنه، والتزامهم بمنهجه، وولائهم لشرعه.. وشأن الإنسان العاقل أن يجاهد نفسه كى يبلغ الجنة ويصل إلى الفردوس الأعلى ويحظى بمرافقة النبيين والشهداء..

قال الله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

* * *

(١) سورة فاطر: آية (٣٢).

علامة المنافق

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».**

***

توضيح بعض المفردات:

١ – النفاق مخالفة الظاهر للباطن.

٢ – «أربع من كن فيه» أى أربع خصال أو صفات.

٣ – «حتى يدعها» أى حتى يتركها.

٤ – «إذا خاصم فجر» إذا كانت بينه وبين أحد خصومة مال عن الحق واحتال فى رده.

المعنى العام:

النفاق من الأمراض الاجتماعية الخطيرة، وهو قسمان: نفاق العقيدة ونفاق العمل.

فنفاق العقيدة: هو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، وكان المنافقون يأتون رسول الله ﷺ ويقسمون بأغلظ الأيمان أنهم يشهدن له بالرسالة ويلتزمون الشرائع وهم فى الحقيقة لم يخرجوا عن الكفر، وهم يخادعون المؤمنين ويتربصون بهم الدوائر، قال الله تعالى:

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[1].

أما نفاق العمل: فهو انحراف فى السلوك يجعل صاحبه شبيهًا بأصحاب نفاق العقيدة من جهة إظهار ما يبطن خلافه، وهذا النفاق العملى من كبائر الإثم والمعاصى.

---

(١) سورة المنافقون: الآيتان (١ – ٢).

والحديث الذى معنا يذكر أربع خصال هى خيانة الأمانة وكذب الحديث وغدر العهد والفجور فى الخصومة، وهناك حديث آخر صحيح رواه البخارى يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**».

فيتحصل من مجموع الحديثين خمس خصال بزيادة خلف الوعد. .

الخصلة الأولى: «إذا ائتمن خان»:

فالإنسان السوى يحفظ الأمانة ولا يبددها ويرد الودائع إلى أهلها، ويصون الأمانة بمفهومها العام، قال تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (١).

والمنافق هو الذى يخون الأمانة فيتظاهر بالصدق والعفاف ويضمر الخيانة والظلم . .

الخصلة الثانية: «إذا حدث كذب» :

فالإنسان السوى صدوق فى قوله وفعله: لا يتكلم إلا بالصدق، ولا يتحدث إلا بالخير، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الله. .

والمنافق لا يعرف الصدق فى حديثه، فهو يكذب ويتحرى الكذب وقد يحلف بأيمان مغلظة ليخدع الناس بأكاذيبه. ورائده فى ذلك إبليس اللعين عندما أخرج أبوينا من الجنة «**وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين**».

الخصلة الثالثة: «وإذا عاهد غدر»:

فالإنسان السوى يحفظ العهد ويصون الود ويفى بما عاهد عليه لكن المنافق لا عهد له ولا أمان، فلا يعرف شرف الكلمة ولا أمانة المقولة ولا يراعى حقوق الناس، ويتربص بهم الدوائر، فيهش لهم ويضمر لهم الحقد، يبتسم لهم ويضع لهم السم، قال تعالى:

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٢).

الخصلة الرابعة: «وإذا خاصم فجر»:

فالإنسان السوى عند خصومته يبقى للصلح موضعًا، ويسعى إلى السلام الفردى والجماعى، ويتنزه عن فحش القول ولا يخوض مع الخائضين، لكن المنافق يفشى الأسرار ويفترى الكذب

(١) سورة النساء : آية (٥٨).

(٢) سورة النحل : آية (٩١)

ويشعل الفتنة ويقطع الأواصر ويفسد فى الأرض وينسى حديث رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**».

الخصلة الخامسة: «إذا وعد أخلف»:

والوعد لا يكون إلا بالخير، وهذه الخصلة يمكن أن تدخل فى قوله ﷺ: «إذا حدث كذب» لأن خلف الوعد المذموم هو ما كان العزم فيه على الخلف مقارنًا للوعد أما لو وعد ونيته على الوفاء ثم عرض له مانع فلا يعد نفاقًا.

ويمكن أن تدخل هذه الخصلة وهى خلف الوعد فى خصلة غدر المعاهدة، ويمكن أن يدخل فجور الخصومة فى كذب الحديث، فتكون الخصال الرئيسية للنفاق هى كذب الحديث وخلف الوعد وخيانة الأمانة، وأيا ما كان فالمقصود من الأحاديث بيان بعض علامات النفاق وليس حصرها.

يؤخذ من الحديث:

١ – التحذير من النفاق قولاً أو فعلاً.

٢ – تأكيد أهمية الأمانة والصدق والوفاء بالعهد.

٣ – النهى عن التمادى فى الخصومة.

٤ – تنزيه النفس عن الرذائل صغيرها وكبيرها.

***

نصيحة للعابدين

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن هشام بن عروة بن الزبير قال: **أخبرنى أبى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: «من هذه ؟ قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: مه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه».**

***

المسلم يمارس العبادات ويؤدى الشعائر ويواصل مسيرة الحياة بهدوء نفسى وسكينة قلبية من غير انفعال وغلو أو تقصير وتفريط..

لقد دخل النبى ﷺ على السيدة عائشة أم المؤمنين فوجد عندها امرأة تسمى الحولاء بنت تويت، إحدى قريبات السيدة خديجة رضى الله عنها.

ومدحت السيدة عائشة هذه المرأة وقالت: إنها لا تنام الليل، وتؤدى صلاة كثيرة، ويقال عنها إنها أعبد أهل المدينة . .

فقال النبى ﷺ: مه، وهى كلمة زجر، والزجر هنا يتوجه إلى أحد جانبين: إما أن يكون زجرًا لعائشة عن مدح المرأة فى وجهها خشية أن تستشعر الفخر أو الرياء أو خشية أن يكون فى الكلام مبالغة ونفاق. .

ويجوز أن يكون الزجر للمرأة نفسها حتى لا تصاب بإرهاق أو إعياء فتنقطع عن العبادة، وتعجز عن الصلاة وتقعد عن قيام الليل. . وهذا هو الأليق بالمقام بدليل التوجيه النبوى الذى يليه: عليكم بما تطيقون. . أى أدوا من الأعمال ما لا يرهقكم، وخذوا من العبادات ما تستطيعون المداومة عليه.

ثم قال رسول الله ﷺ: فوالله لا يمل الله حتى تملوا. .

والقسم هنا على عادة الأسلوب العربى الذى يقدم الحلف من غير استحلاف لتفخيم أمر أو حث عليه أو تنفير منه . .

ومعنى «لا يمل الله حتى تملوا» أن الله تعالى يقطع ثوابه وجزاءه الحسن عمن أرهق نفسه فى العبادة وخرج عن المألوف فى التشريع..

فالإسلام حريص على أن يجمع المرء بين العمل والراحة، وبين الصلاة والنوم، وبين الصوم والفطر، فيتزود الإنسان من راحته لعمله، ومن نومه لصلاته ومن فطره لصومه، حتى يتوازن الجانب النفسي ويعيش المسلم في انسجام مع واجباته المتعددة فلا يضيع حقًا ولا يقصر في معروف ولا ينقطع عن خير. .

ولنعلم أن نية المؤمن خير من عمله، وأن الاستمرار على القليل خير من كثير منقطع، وأن مواصلة اليسير خير من العسير الذى لا يتواصل. .

وصدق الله حيث يقول:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [1].

وإن أحب الدين إلى الله وإلى رسول الله ما داوم عليه الإنسان وإن قل.

***

(١) سورة البقرة: آية (١٨٥).

الرفق فى العبادة

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فغضب حتى يعرف الغضب فى وجهه ثم يقول: إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**».

***

من رحمة الرسول ﷺ بأمته وشفقته عليهم أنه كان حين يأمرهم بعمل صالح يراعى اليسر، ويحرص على المستطاع، ويجعل الأمر فى حدود ما يقدرون على الوفاء به. .

وذلك لحكمة سامية، هى أن يواصل الإنسان العمل الصالح بلا ملل، فخير العمل أدومه وإن قل، لكن أن يرهق المرء نفسه بأعمال شاقة ثم يناله العجز عن مواصلتها أو الإتيان بمثلها مرة أخرى، فهذا يفوت على نفسه خيرًا كثيرًا ويحرم نفسه من ثواب عظيم. .

وكان ﷺ يشارك الصحابة ما يأمرهم به. ويعمل كعملهم، وتصور البعض أن هذا لا يكفى لتحقيق الدرجات السنية فى الفردوس الأعلى، وأرادوا أعمالاً شاقة. ووهموا أن الرسول ﷺ ليس فى حاجة إلى مزيد من العمل الصالح لأنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقالوا: «إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله».

هنا غضب الرسول ﷺ غضبًا شديدًا لأن هذا أمر يتعلق بحكم الله، وقد كان الرسول لا يغضب لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله. .

وبيّن لهم الرسول الحكمة البالغة التى غابت عنهم. فإن الرسول ﷺ هو أتقى الناس وأعلمهم بالله، فوصل إلى قمة الكمال الإنسانى فى جانبيه العملى والعلمى.. ومع ذلك فهو يلتزم بالأمر الرفيق الموافق للشرع الحنيف، وليس للمرء حق التشريع فى العبادة فإنها توقيفية قائمة على إذن الشرع، ولن تتحقق الدرجات العلا فى الثواب بمخالفة الأمر الشرعى أو بالتزيد فيه.. فإن قومًا غلوا فى دين الله فمقتهم الله، وشرعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله فسخط عليهم..

قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِى دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ (١).

وقال جل شأنه:

﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَـٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٲنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ ﴾ (٢).

إن الحديث الشريف يعلمنا الأخذ بالرفق فى العبادة لله، ويحثنا على المواظبة على العمل الرفيق، ويدعونا إلى الالتزام بالشرع الحنيف. .

***

(١) سورة النساء: آية (١٧١).

(٢) سورة الحديد: آية (٢٧).

التثاؤب

عن أبى سعيد ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه**». متفق عليه.

***

الإسلام حريص على النشاط والجد وإتقان العمل وعبادة الله على يقظة ووعى، والتثاؤب يتنافى مع ذلك فهو دليل الكسل والعجز، ولا يتثاءب الإنسان إلا عند امتلاء المعدة وفتور العزيمة.

وقد ورد فى الصحيح: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب**»، والمحبة والكره هنا ينصرفان إلى ما ينشأ عن العطاس من الخفة والنشاط للعمل والعبادة مادام العطاس لم يتحول إلى زكام.. وما ينشأ عن التثاؤب من التقاعد والتقاعس، والمسلم مطالب شرعًا بقطع أسباب الكسل والعمل على إزاحتها سواء كانت أسبابًا قريبة أو بعيدة. .

فقطع الأسباب البعيدة هى أن يتوسط الإنسان فى مأكله ومشربه، قال عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء**».

وإذا شرب المسلم شرب بأدب وعلى أنفاس ثلاثة وبغير شره، فالمسلم يحترم الطعام والشراب ولا يلتهمهما.

كذلك فإن المسلم - فى مدافعته لأسباب التثاؤب - يؤدى من العمل ما نشط له ويستريح عند العناء ولا يعمل وهو يعانى فتورًا أو خمولاً، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**».

أما قطع الأسباب المباشرة للتثاؤب فهو أن المسلم إذا اضطر إليه وغلبه ذلك عمل على مدافعته وتخفيفه فلا يفتح فاه بمنظره البشع ولا يعوى فتشوه خلقته.

وفى حديث صحيح: «**أما التثاؤب فإنه من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**».

فالشيطان هو الذى يزين للنفس الشهوة والخمول والتكاسل وهو يفرح بإهمال الإنسان عبادته وعمله..

وفى الحديث الذى معنا إرشاد إلى أن يضع الإنسان يده على فمه وفى ذلك احتياط جميل حتى لا يدخل فى الفم شىء من غبار الجو أو ذبابة تحوم حوله.. وأيضًا حتى لا يدع نفسه فريسة للضعف، واليد التى يضعها الإنسان قيل إنها باطن يده اليمنى أو ظاهر يده اليسرى.. وإذا كان التثاؤب فى الصلاة كان أشد كراهة لأن الصلاة مناجاة بين العبد وربه فأحرى بها أن تؤدى على خشية ومراقبة. .

***

دوافع السلوك

روى مسلم وابن حبان فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».**

***

معنى الحديث إجمالاً:

هذا الحديث الشريف يدفع المسلم دفعًا قويًا لمراقبة الله تعالى والإخلاص فى العمل، لأن ثواب الله وفضله لا يصل إلى العبد بمجرد الأشكال والطقوس، بل إن الله يراقب القلوب ويطلع على خفايا الصدور، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم قال جل شأنه:

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[1].

ويوم يسوق الله تعالى لعبده مالاً أو صحة أو غير ذلك من ألوان النعم فلا يعد ذلك تكريمًا إلهيًا لهذا العبد، إنما المدار على حسن استخدام النعمة فيما أمر المنعم جل وعلا، فالأجسام فى غير طاعة الله تكون كالخشب المسندة لا نفع منها، والأموال فى غيبة موردها من الحلال ومصرفها فى البر، تعد وبالاً على صاحبها ونقمة فى الدنيا والآخرة . .

وكثيرًا ما تحدث القرآن عن المنافقين، فهم ليس لهم نية الخير ولا قصد العبادة ، وهم يتظاهرون بأشكال العبادة من غير همة ولا عزيمة، وإذا كان الله تعالى قد منح بعض هؤلاء المنافقين أموالاً وأولادًا، فهى فتنة لهم.. قال تعالى:

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة الحج : آية (٣٧).

(٢) سورة التوبة : الآيتان (٥٤ - ٥٥)

أهمية دوافع السلوك :

الطاعة هى الاستجابة فى الأمر والنهى بقصد الامتثال ونية التعبد..

والمعصية هى مخالفة الأمر والنهى بنية التمرد وقصد المخالفة. .

فالأعمال قد تتحد فى أشكالها وتفترق فى نياتـها، فلـو أن شـخصين زارا مريضًـا ودعـوا لـه بالشفاء العاجل، وقدم كل منهما هدية له.. قد نقول إنهما عملا عملاً صالحاً، لكن إذا تبين أن أحدهما قصد من الزيارة الاطمئنان على المريض ومواساته والآخر قصد الشماتة.. فهل يستويان؟

لاشك أن أحدهما مأجور مثاب والآخر مذنب معاقب. .

كذلك لو أن شخصين أكلا فى نهار رمضان ، أحدهما كان ناسيًا، والآخر كان متعمـدًا، فقد حصل لكل منهما شكل المخالفة لكن أحدهما وهو الناسى لا حرج عليـه وصومـه صحيـح وإنمـا أطعمه الله وسقاه والآخر معاقب مرتكب لكبيرة من كبائر الإثم والفجور . .

وهكذا فالأعمال إنما هى بنياتها، والسلوك إنما هو بدوافعه، وقـد قـال الرسـول ﷺ: «**إنمـا الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» .

هل ينفى الحديث الاعتداد بالمظهر والشكل؟

يتصور البعض أن المظهر لا اعتداد به ، وأن المدار على صلاح القلـب بـالمعنى الداخلـى فقـط حتى ولو تناقض مع الظاهر. . وهذا وهم. .

فإن صلاح القلب ينعكس إلى سلوك قويم، وإن حسن النية يستتبع حسن العمل . .

والإسلام لا يغفل الجـانب المظـهرى، فعندنـا مـن شـرائع الديـن الأذان والجماعـة والجمعـة ومناسك الحج، وفى الحديث الشريف: «**إن الله جميل يحب الجمال**» .

كما أن من شروط صحة الصلاة طهارة الثوب والمكان وستر العورة، قال تعالى:

﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾[1].

المراد بالقلب:

كثر حديث القرآن والسنة عن القلب وارتباطه بالأعمال والأقوال والعقائد . .

من ذلك قوله تعالى:

---

(١) سورة الأعراف: آية (٣١).

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

وقال جل شأنه:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[2].

وجاء فى الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: «**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب**».

وذات يوم أشار النبى ﷺ إلى صدره الشريف ثلاث مرات وقال: «**التقوى ههنا**» والمضغة قطعة من اللحم صغيرة قدر ما يمضغ، والمراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقى الجسد، مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب..

ولعل فى القلب الموجود فى القفص الصدرى صلة بالعقل والفهم، ولعل هناك رابطة بين العقل والمخ والقلب.. وهذا مجال فسيح للتأمل يوضع أمام الباحثين عسى أن يدركوا شيئًا من هذا السر العجيب.

***

(١) سورة الشعراء: الآيتان (٨٨ - ٨٩).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٧٩).